مراحل التطور التاريخي لمفهوم مركز مصادر التعلُم

صالح بن خالد الرشيد

مشرف تقنيات بإدارة التربية والتعليم بمنطقة الرياض

يعد التعليم حجر أساس تقدم الأمم ورقيها، بل هو الاستثمار الأمثل لكل مجتمع يصبو إلى العز والمنعة، ولقد أولت التربية الحديثة الاهتمام بتنمية الشخصية البشرية إلى أقصى درجة تسمح بها إمكاناتها واستعداداتها، لتصبح شخصية مبدعة ومنتجة ومطورة لذاتها ولمجتمعها.

وإن ما يميز العصر الذي نعيش فيه ما نشاهده من تفجر معرفي وثورة في مجال الاتصالات والفضائيات والمعلومات، وهي سمات مترابطة ومتشابكة والتطور في إحداها يؤثر وبشكل مباشر في تطور الأخرى، وبطبيعة الحال يتعذر الارتقاء بإحداها إذا ما أهملت الثانية.

ومن هذا المنطلق نجد المجتمعات المعاصرة تعتمد اعتماداً كبيراً على المعلومات وتعدها ركيزة هامة للنمو والتطور، نظراً لما تسهم به في معالجة مشكلات المجتمع المختلفة ومواكبة كل جديد في كافة الحقول والمجالات.

وتعتبر المكتبة بأوعيتها المتعددة المطبوعة وغير المطبوعة هي المكان الطبيعي للإنسان المعاصر والذي يسعى دائماً إلى تنمية فكره وتلبية حاجاته المعلوماتية، لذلك كان من أهم أهداف النظم التربوية الحديثة إعداد الطالب وتدريبه على اكتساب المعارف والمهارات الحسية والعقلية التي تمكنه من التعامل مع مصادر المعرفة المختلفة من خلال إتاحة المجال أمامه للتعرف على تلك المصادر وتوظيفها في تعلمه.

ومراكز مصادر التعلُم من أكثر الصيغ تمثيلاً لهذا الفهم، وأقدرها على تحقيق هذا الهدف، وذلك لكونها توفر بيئة تعليمية تتيح للمتعلم الإفادة من أنواع متعددة ومختلفة من مصادر التعلُم، وتهيئ له فرص التعلُم الذاتي، وتعزز لديه مهارات الاستقصاء والبحث.

وبناءً على ذلك فقد تم إنشاء العديد من مراكز مصادر التعلُم في الجامعات والكليات والمدارس وغيرها من المؤسسات التربوية، نظراً لدورها الرائد في توفير خدمات ومصادر وأساليب تعليمية حديثة تتلاءم ومستجدات العصر.

التطور التاريخي لمفهوم مراكز مصادر التعلُم

إن تقصي التطور التاريخي لمفهوم مصادر التعلم يفيد بأن جذوره تمتد إلى أغوار بعيدة في عمق التاريخ الإنساني، فهذا المفهوم لم يولد بين عشية وضحاها، لكنه كان محصلةً لمجموعة من التفاعلات والمؤثرات في نسيج المجتمعات البشرية، أدَّت في النهاية إلى بروز هذا المفهوم بشكل واضح وملموس في المؤسسات التعليمية.

فقد كانت المكتبات منذ فجر التاريخ مؤهلةً لتولي دور احتضان أوعية المعلومات باعتبارها الخامة الأساسية للعملية التعليمية، حيث ظهر ذلك في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين، فقد وجدت دار للكتب في مصر قبل الميلاد بحوالي ثلاثة آلف عام، وكانت لفافات البردي هي الشكل التقليدي لأوعية المعلومات فيها. (بدر، 1985م، ص 23)

وكذلك في بغداد وجد في خزانة معبد أنليل حوالي 23000 لوح من الألواح الطينية

المكتوبة بالخط المسماري يعود تاريخها إلى الأعوام 2700-2100 ق.م.

ولعل من الأمثلة التي تثير الإعجاب والفخر أول مكتبة أنشأها المسلمون في القرن الثاني الهجري والتي أطلق عليها (بيت الحكمة) التي انشاها هارون الرشيد، وبلغت شهرتها ونشاطها في عهد خلفه المأمون، والتي ضمت في كنفاتها الكتب اليونانية والرومانية المترجمة إلى العربية، وكذلك مختلف كتب العلوم والفلسفة والآداب والتراجم والسير والتراث الإسلامي والمخطوطات والمصورات البلدانية، إضافة إلى مرصد فلكي، أما بالنسبة للمكتبات المدرسية في تلك الحقبة الزمنية فكان من أشهرها مكتبة (المدرسة النظامية) في بغداد والتي تعتبر أنموذجاً لما كان سائداً في العالم الإسلامي آنذاك، حيث بلغت مجموعاتها في منتصف القرن الخامس الهجري ستة آلاف مجلد، وقد أسسها الوزير نظام الملك عام 459 هـ . (الحمود وآخرون ، 1994م ، ص 67)

ويعرف رزق مركز مصادر التعلم بأنه: « مكان يتم فيه تيسير التعلّم الفردي والجماعي بما يتيحه للطالب من الاطلاع أو الاستماع أو المشاهدة ، وبما يوفر للمعلم من بيئة صالحة لتوجيه العملية التعليمية التي يتم تصميمها وتنفيذها وتقييمها في ضوء أهداف تعليمية » . (رزق ، 1987م، ص 6)

إن مركز مصادر التعلم بمفهومه المجرد ليس وليد القرن العشرين أو الذي يليه ، ولكن ترجع جذوره إلى ابعد من ذلك بكثير . وعلى رغم اختلاف الباحثين حول المسميات المتعددة للمفهوم .. إلا أن الغالبية منهم انتهوا بتبني هذا المصطلح Learning Resource Center مركز مصادر التعلم .

ويمكن تقصي مراحل التطور التاريخي لمراكز مصادر التعلم بشيء من التفصيل من خلال النقاط التالية :

1- هناك شواهد تدل على أن مفهوم مراكز التعلم قد ظهر في بريطانيا في القرن السادس عشر للميلاد . حيث تفيد نشرة وزارة التربية والتعليم البريطانية أن مرسوم اشتون (Ashton Ordinances) قد أشار منذ عام 1578م إلى ما ينبغي أن تحتويه مباني المدارس أو المؤسسات التعليمية بقوله :

« يجب أن تحتوي المباني التعليمية على مكتبة ومعرض مزود بكل أنواع الكتب والخرائط والمجسمات والآلات الفلكية وكل الوسائل الأخرى ذات الصلة بعملية التعلم ، سواء زودت بها المدارس من الإدارات الرئيسية للتقنيات التربوية أو اشترتها المدارس من ميزانيتها الخاصة». (عيسى،1982م، ص 38)

2- إن فهارس الدوريات وموضوعاتها . يمكن أن تكون مؤشراً جيداً لمدى استعمال هذا المصطلح أو العنوان وانتشاره، وبناءًا عليه فإن مجلة التربية في بريطانيا تحدثت عن موضوع هذه المراكز عام 1947م تحت عنوان « مراكز المواد التدريسية (سلامة ، 1995م ، ص 37)

بينما بدأت نشرة المكتبة باستخدام تعبير « مركز المواد » عام 1952م ، وفي مارس 1964م استخدمت تعبير « مركز المواد التعليمية » . حيث زاد عدد المقالات المنشورة تحت تلك العناوين باستمرار . (عيسى، مرجع سابق، ص 38)

3- في أمريكا ومنذ عام 1937م أوصى المجلس التعليمي لمقاطعة نيويورك بدمج إدارتي المكتبات والتربية البصرية، كما أن كثيراً من أمناء المكتبات قد ضموا إلى محتويات المكتبة مواداً أخرى ، حيث ظهر في نشرة عام 1954م الصادرة عن إدارة الوسائل السمعية البصرية التعليمية (NEA) أن هناك تصوراً للمركز .

4- في عام 1956م أصدر اتحاد مكتبات المدارس الأمريكي بياناً رسمياً عن الموضوع أبرز فيه إيمانه بأن مكتبة المدرسة بالإضافة إلى ما تقوم به من عمل حيوي في الإرشاد للقراءة الفردية وفي تطوير المناهج المدرسية ، يجب أن تخدم المدرسة كمركز مصادر للتعلّم .

بينما تشير الدراسات إلى أنه لم يظهر بشكل جدي اهتمام المكتبات المدرسية بإضافة المواد غير التقليدية إلى مقتنياتها حتى نهاية الستينات في الولايات المتحدة الأمريكية.

(الحمود وآخرون ، مرجع سابق ، ص 69)

5- في عام 1959م تطور اسم هذه المراكز إلى مراكز المواد التعليمية وقد وردت هذه التسمية في دليل القارئ في بريطانيا .

6- صدرت نشرة عن جمعية المكتبات الأمريكية (ALA) بالاشتراك مع الجمعية التربوية الوطنية الأمريكية (NEA) في العام 1969م تضمنت معايير وإجراءات محددة لإنشاء مراكز مصادر التعلم والتي كان عنوانها (Standard for School Media Programs) واعتبرت المحرك الرئيس نحو إدخال المواد السمعية والبصرية إلى المكتبات، وأحدث هذه المعايير هي تلك التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1988م بعنوان : قوة المعلومات (Information Power) والتي ركزت على أوعية المعلومات بأشكالها المختلفة من مطبوعة، وسمعية، وبصرية، ومقروءة إلكترونياً...الخ كذلك اهتمت تلك المعايير بالاستعداد للتغييرات القادمة في مجالي المكتبات والمعلومات مع التقدم التكنولوجي المستمر والمتسارع، (الحمود وآخرون ، مرجع سابق، ص 70)

وعلى أثر هذا بدأت عدة كليات بإعداد متخصصين في المواد التعليمية بدلاً من أمناء المكتبات وتحولت عدة أقسام لعلوم المكتبات إلى أقسام وسائل اتصال

تكنولوجية، ومن هنا جاء تخصص المصادر التعليمية والمكتبات الذي أقرته وزارة التعليم العالي الأردنية تأكيداً لمفهوم أن المكتبة هي مركز المصادر التعليمية . (سلامة ، 1995م ، ص 37-38)

ويفنّد عليان (2002م) مراحل تطور مراكز مصادر التعلم والمسميات السائدة لكل مرحلة حسب الوظيفة التي تقدمها على النحو التالي :

المرحلة الأولى: مكتبة الصفوف

وهي البداية الحقيقية للمكتبات المدرسية التي تعتبر مرحلة سابقة لمراكز مصادر التعلم، وهي عبارة عن خزائن صغيرة تحفظ داخل الصفوف وتضم في الغالب كتباً عامة وقصصاً وغيرها تتصل بميول وهوايات الطلاب.

المرحلة الثانية: المكتبات المدرسية الرئيسية أو المركزية

وهي المكتبات التي تلحق بمدارس التعليم العام بمراحلها المختلفة وتهدف إلى توفير الخدمات و المواد المكتبية المناسبة لمجتمع المدرسة من طلاب ومعلمين، وتعتبر بمثابة القلب وبؤرة النشاط الفكري في المدرسة.

المرحلة الثالثة: مكتبة المواد أو الموضوعات

وفيها يتم جمع وتنظيم كافة الكتب والدوريات والمواد المطبوعة الأخرى بالإضافة إلى المواد السمعية والبصرية المتعلقة بمواد دراسية أو موضوعات معينة ذات علاقة بالمقررات والمناهج

المرحلة الرابعة: المكتبة الشاملة

وهي مكتبة تكاملت فيها الكتب وأوعية المعلومات، كالوحدة الخاصة بالأفلام التعليمية، ووحدة المواد التعليمية كالشرائح والاسطوانات والتسجيلات الصوتية وغيرها، وهي مكتبة طورت أهدافها ومجموعاتها لإشباع مختلف الحاجات التربوية والتعليمية.

المرحلة الخامسة: مركز مصادر التعلم

وتمثل المرحلة الأخيرة من التطوير. تهدف إلى تحقيق الانتقال من عملية التركيز على التعليم إلى عملية التركيز على التعلّم ،من خلال ما توفره من مواد مكتبية وأنشطة متعددة تساعد الطلاب على اكتساب مهارات التعلّم وتنمي القدرة على التحليل والنقد . (عليان ، 2002م ، ص 392-395)

خلاصة

إن فكرة مصادر التعلم تعود إلى القرن السادس عشر الميلادي ، لكنها لم تكن تحمل هذا الاسم حيث بدأ التطور الحقيقي للمفهوم في الستينات من القرن العشرين، بتسميات مختلفة حسب الوظيفة التي تقدمها، لكنها أجمعت في البداية على أنها تطور لمفهوم المكتبة المدرسية . أما التطور الفعلي لمصادر التعلم فكان في بداية السبعينات بحيث أثرت في أدوار المعلم المنوطة به، ودعمت استقلاله في تعلّمه، مما أدّى إلى تغيير الترتيبات المتخذة في تجهيز وتنظيم مصادر التعلم، وأصبحت هذه المراكز المتطورة تتيح لكل طالب الفرصة للتعلم حسب سرعته وبالأسلوب الملائم لميوله واتجاهاته ، والذي يتوافق وقدراته الشخصية ومهاراته . (عبد الله، 1980م ، ص 26)

المراجع

بدر ، أحمد (1985م) : المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات ، دار المريخ ، الرياض .

الحمود ، نهلة داود و ياسر يوسف عبد المعطي و عبد الله حسين رزق، (1995م) : مراكز مصادر التعلم ودورها في عملية التعلم ، خطة لتطوير مكتبات كلية التربية الأساسية إلى مراكز لمصادر التعلم ، كلية التربية الإسلامية ، مكتبة الفيصل ، الكويت .

رزق ، عبد الله حسين و عادلة التركيت ، (1987م) : إنشاء وإدارة مراكز مصادر التعلم ، جمعية المعلمين الكويتية ، الكويت .

مصباح الحاج عيسى وتوفيق العمري وإياد ملحم (1982م) مترجم : مراكز مصادر التعلم وإدارة التقنيات التربوية ، اتجاه جديد في تكنولوجيا التربية ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

سلامة ، عبد الحافظ ، (1995م) : إدارة مراكز مصادر التعلم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

عليان ، ربحي مصطفى ، (2002م) : إدارة وتنظيم المكتبات ومراكز مصادر التعلم ، الطبعة الأولى ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

عبد الله ، عبد الرحيم صالح ، (1980م) : مراكز التعلم وفعاليتها في تنفيذ التعلم الفردي ، مجلة تكنولوجيا التعليم ، مج3 ، ع6 ، (ديسمبر 1980م) .